شرح العقيدة الواسطية

الدرس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على سول الله؛ أمّا بعد:

فهذا المجلس السابع من مجالس شرح العقيدة الواسطية

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، { وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي})**

لا يزال المؤلف رحمه الله يذكر صفات الله تبارك وتعالى التي ثبتت في كتاب الله تبارك وتعالى، وذكر هنا صفة العينين، وإثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى أمرٌ مجمعٌ عليه عند السلف، وإثباته بالعدد- وهما عينان اثنتان- أمرٌ متفقٌ عليه بين أهل السنة والجماعة لا خلاف بينهم في ذلك، والأدلة من الكتاب التي تدلّ على ثبوت هذه الصفة لله تبارك وتعالى كبقية أخواتها من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ما ذكره المؤلف رحمه الله بقوله: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ}، {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} فهنا هذه كلّها تُثبت صفة العين لله تبارك وتعالى، وليس فيها ذكر العدد بالتثنية،

الأولى قال: {بِأَعْيُنِنَا} وهذا جمع.

والثانية قال: {بِأَعْيُنِنَا} وهذا أيضاً جمع.

.والثالثة قال: {عَيْنِي} وهذه مفرد.

والذي دلّ على العدد هو الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ في الدّجال: "إنّه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور"، وفي لفظ: "أعور العين اليمنى"، وبعضهم فسر العور بالعيب، وليس

من عور العين، وقد انطلى هذا على بعض من لا معرفة له بهذا الفن ويدّعي التحقيق؛ فقال بقول هؤلاء، مع أنّه لو تنازل قليلاً وقرأ شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على "الواسطية" لكفاه- لا نريد أن نقول يبتعد أكثر من هذا- فقال الشيخ رحمه الله: (ولا شك أنّه تحريف وتجاهل للفظ الصحيح الذي في البخاري وغيره: "أعور العين اليمنى كأنّ عينه عنبة طافية"، وهذا واضح، ولا يُقال أيضاً: "أعور" باللغة العربية إلّا لعور العين، أمّا إذا قيل: "عَور" أو "عَوار"؛ فربما يُراد به مطلق العيب) هذا كلام عالم كبير في معرفة اللغة العربية.

فبهذا الحديث وبالإجماع أثبت أهل السنة العينين لله تبارك وتعالى.
أمّا الجمع فهو على التعظيم، وأمّا العين المفردة فهذه جاءت مضافة والمفرد المضاف يعمّ فيشمل كلّ عين لله تبارك وتعالى؛ فهذا اللفظ لا يُنافي التثنية وكذلك الجمع، ولكن التثنية نصٌّ؛ فلذلك أخذ أهل العلم بالتثنية وفسروا البقية بما يتناسب معها.
وإثبات صفة العين بهذه الأدلة هو ظاهر النصوص، فأسلوب العرب وطريقتهم في التحدث تقتضي ذلك وتجعل هذا ظاهراً، فلمّا قال الله سبحانه وتعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} الباء هنا في الآية باء المصاحبة، وليست الباء التي تدلّ على الظرف والمكان، ففهمها على هذا المعنى- بمعنى المصاحبة- موافق لسياق الأدلة التي وردت فيها، فعندما يقول الأب لابنه الذي يأتيه شاكياً من جماعة يترصدون له يقول له: (اذهب فإنّك بعينيَّ)، لا يَفهم أحدٌ من هذا الكلام أنّ الابن في داخل عيني أبيه، ولكن يَفهم من هذا أنّي أنظر إليك وأحفظك وأدفع عنك، هذا هو المقصود من كلامهم في مثل هذا، فهذا الذي يُفهم من مثل هذا السياق ولله المثل الأعلى، وكذلك قوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} في السفينة التي صنعها نوح عليه السلام {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} يعني سفينة مُصنّعة من ألواح ومن مسامير، حمل الله تبارك وتعالى نوحاً ومن

معه عليها، قال{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} أي: مصاحبة لنظرنا، مصاحبة لأعيننا، فننظر إليها ونحفظها.
وقوله أيضاً: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} الصنع هنا- صنع الإنسان- هي تربيته التربية البدنية والتربية الفعلية، فأنا أنظر إليك وأربيك وأحفظك.

فظاهر هذه النصوص كلّها يدلّ على إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى.

وهذه من الصفات الذاتية الخبرية، هي صفات ذاتية والصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، والخبرية: هي التي بالنسبة لنا أبعاض وأجزاء.
ونذكر هنا من السلف من أثبت هذه الصفة لله تبارك وتعالى:
قال ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" بعد أن ذكر هذه الأدلة التي ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله؛ قال: (فواجب على كلّ مؤمن أن يُثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته الله في محكم تنزيله؛ لبيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه عز وجل في قوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} فبيّن النبي ﷺ أنّ لله عينين؛ فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب) هذا كلام ابن خزيمة وهو صريح في إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى.

وقال الدارمي في ردّه على المريسي بعد أن ذكر بعض هذه الأدلة: (فكما نحن لا نُكيّف هذه الصفات لا نُكذّب بها كتكذيبكم ولا نفسرها كباطل تفسيركم) وفي هذا شرح وبيان لمعنى كلام السلف عندما يقولون: (ومن غير تفسير)، فلمّا يُذكر هذا في كلام السلف في صفات الله تبارك وتعالى لا يعنون أنّهم يُفوّضون المعنى كما ذهبت إليه المفوّضة، لمّا وجدوا في بعض كلام السلف أنّهم يقولون من غير تفسير، أو من غير معنى، بمعنى هذه الألفاظ؛ ظنّوا أنّ السلف يُفوّضون المعنى؛ وهذا كلام باطل، هنا هذا من كلام

السلف أيضاً فيُفسر لنا المعنى الذي يريدونه، فقال: (ولا نفسرها كباطل تفسيركم) هذا المعنى الذي ينفيه السلف من التفسير، فعندما يقولون: (من غير معنى) أي: من غير المعنى الذي فسره عليه الجهمية ومن غير تفسير كتفسير الجهمية، ولكننا نفسرها تفسيراً حقيقياً موافقاً للغة التي نزل بها القرآن.

وقال يحيى بن سلّام في تفسيره: ({فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}، أي: نرى ما تصنع وما يُصْنَعُ بك فسنجزيك ونجزيهم).

هذا كلام من كلام أئمة السلف، كانوا يُقرون بهذه الصفات ويثبتونها، فالعقيدة التي ذكرها الإمام ابن تيمية رحمه الله ليست من عنده ولا هو الذي اخترعها ولا تُنسب إليه؛ بل هو ما عليه إلّا أن قرأ كتب السلف وأخذ علمهم وناظر عليه وجادل أهل البدع وأظهره وبينه؛ هذا ما فعله الإمام ابن تيمية رحمه الله، ولم يأت بدين جديد، ولو جاء بدين جديد لرددناه عليه كائناً من كان، ليس عندنا أحد معظم بعد النبي ﷺ ومعصوم عن الخطأ؛ إلّا إجماع الأمة فقط؛ هذا المعصوم عن الخطأ، بعد ذلك الكلّ يخطئ ويصيب، والكلّ يُردّ عليه ويُؤخذ منه ما وافق الحقّ؛ هذا هو ديننا الذي ندين به وليس عندنا أحد معصوم بعد نبينا ﷺ.

وهذا من كلام السلف موافق لما قرره الإمام ابن تيمية رحمه الله.

ثم قال: **(وقوله: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ})**

هذه الآية فيها إثبات صفة السمع والبصر لله تبارك وتعالى، والمقصود بالسمع: هو إدراك المسموعات، وكذلك البصر: رؤية المبصرات -المرئيات-؛ إدراكها بالبصر؛ هذا معنى السمع والبصر، وهو مثبت لله تبارك وتعالى كما أثبته لنفسه هنا وفي مواطن كثيرة في الكتاب والسنة.

ومن كلام السلف في إثبات صفة السمع؛ قول عائشة رضي الله عنها- وهي الصحابية- تبين لنا بوضوح إثبات الصفات كما أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه؛ جاء عنها رضي الله عنها أنّها قالت: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، كان بيني وبينها- أي: هذه المجادلة التي كانت تجادل النبي ﷺ- كان بيني وبينها جدار وأسمع بعض الكلام والبعض لا أسمعه، وسمعها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات؛ هل في هذا الكلام إثبات صفة السمع الحقيقية أم لا؟ كلام واضح وصريح ليس فيه خفاء؛ هذا مذهب صحابة رسول الله ﷺ.

قال المؤلف: **(وقوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ})**

وهذه أيضاً واضحة في سماع الله تبارك وتعالى لما قاله هؤلاء القوم.

قال: **({أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ})**

هذا كلّه واضح وصريح في المراد.

قال: **(وقوله: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى})**

الأولى: فيها إثبات صفة السمع والرؤية أيضاً لله تبارك وتعالى، فالله يرى كما قال في كتابه، وهي إثبات صفة البصر.

قال: **(وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}، {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، {فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ})**

كلّه إثبات لصفة الرؤية لله تبارك وتعالى؛ فنحن نُثبت لله تبارك وتعالى ما أثبت لنفسه.

قال: **(وقوله: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، وقوله: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}، وقوله: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، وقوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا**

(١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا}

هذه صفة المكر والكيد والمِحَال، هذه الصفات التي يُسميها العلماء بصفات المقابلة، هذه صفة المقابلة التي تكون تارة صفة نقص وتارة صفة كمال، فإذا أُطلقت من غير مقابلة؛ تكون صفة نقص، فإذا قلت مثلاً في زيد من الناس: إنّه ماكر، فلانٌ رجلٌ ماكرٌ، هذا مدح له أم ذم؟ ذم، فلانٌ كيده عظيمٌ، هذا ذم له، فلان شديد المِحَال؛ هذا أيضاً يعتبر ذماً لصاحبه، لكن إذا جعلت هذا الوصف مقابلاً لمن فعله معك، فقلت مثلاً: زيد يمكر بمن يمكر به؛ فهذا يدلّ على قدرة زيد على الرّد بنفس الأسلوب، ويدلّ على عدم عجزه عن مثل هذا؛ فهنا تصبح صفة كمال.

ولله المثلى الأعظم؛ فهذه الصفات ما تجدها في الكتاب والسنة هكذا وحدها من غير مقابلة؛ لا تجدها جاءت إلا بمقابلة؛ {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا} بالمقابل، عندما يفعلون يقابلهم الله تبارك وتعالى بنفس فعلهم، هذا يدلّ على عِظَم قدرة الله تبارك وتعالى على كلّ شيء.

(المِحَال): بمعنى المكر والكيد، وكلّها -تقريباً- متقاربة في المعنى، ومعناها التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، هكذا عرّفها العلماء؛ يعني: أن توقع بخصمك بأسباب هو لا ينتبه لها، فيها خفاء؛ هذه كلّها تقريباً بمعنى واحد.

الآية الأولى قال الله تبارك وتعالى فيها: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}؛ قال الطبري رحمه الله: (والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتى وتمادى في كفره، والمِحَال: مصدر من قول القائل: ماحلت فلاناً فأنا أماحله مماحلة ومحالاً، منه محلت أمحل: إذا عرَّض رجل رجلاً لما يهلكه) أي: بمعنى المكر الشديد، المكر والكيد، وقيل بمعنى شديد الأخذ، وقيل شديد القوّة، كلّها تفاسير ذكرت، لكن هي قريبة من معنى المكر والكيد؛ هذه الصفات تسمى بصفات المقابلة كما ذكرنا، وتكون صفة كمال

عندما تكون مقابلة لمن فعل هذا الفعل، وكذلك الاستهزاء أيضاً من هذا الباب- صفة مقابلة- فهذه الصفات لا يصحّ أن نطلق القول فيها مطلقاً ونقول: الله ماكر أو الله كيده عظيم أو الله مستهزئ ؛ لا؛ ولكن نُقيّدها كما قيدها الله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف: **(وقوله: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا})**

هنا بدأ بذكر صفة العفو والمغفرة والرحمة والعزّة؛ وكلّها ثابتة في كتاب الله كما سيذكر المؤلف رحمه الله، وهذه الآية التي بين أيدينا فيها إثبات صفة العفو لله تبارك وتعالى، كما في قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}.

قال: **({وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ})**

هذه صفة المغفرة لله تبارك وتعالى، وغفور هنا جاءت على وزن فعول؛ فتكون بمعنى كثير المغفرة.

قال: **(وقوله: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ})**

هذه الآية فيها إثبات صفة العزّة لله تبارك وتعالى.

قال ابن فارس: (عزّ: العين والزاي أصلٌ صحيح واحد يدلّ على شدّة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، قال الخليل: العزة لله جلَّ ثناؤه وهو من العزيز ويُقال: عزّ الشيء حتى يكاد لا يُوجد) فهي بالمعنى الذي ذكره ابن فارس رحمه الله بمعنى الشدّة والقوة.

قال: **(وقوله عن إبليس: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})**

هذا كقول إبليس لله تبارك وتعالى، وقد أقرّه الله تبارك وتعالى على القسم بعزة الله تبارك وتعالى.

قال: (وقوله: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ})

هذا إثبات الاسم لله تبارك وتعالى {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} هنا أثبت أنّ لله تبارك وتعالى اسماً، و(تبارك) بمعنى: تعالى وتعاظم اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك بالصفات السلبية- صفات النفي- فقد انتهى من ذكر الصفات المثبتة في القرآن، وسيبدأ بذكر الصفات المنفية، فنؤجلها إن شاء الله إلى الدرس القادم.